الفلسطينيين بنكبة عام ١٩٤٨ ، وبعملية طردهم من فلسطين · فقد حذر وزير الزراعة اريئيل شارون ، كما حذر من قبله موشي ديان « عرب الضفة الغربية بان لا يثيروا القلاقل كي لا يجروا على انفسهم كارثة عام ١٩٤٨ مرة اخرى » (هآرتس، ١٩٧٩/٣/٢٥) · واضاف شارون « اننا لن نسمح باعمال الشغب من قبل السكان العرب » وتلك الاعمال « لن تزحزحنا عن تنفيذ مخططاتنا » (المصدر نفسه) · ثم توجه شارون ، الذي كان يتحدث في نادي المهندسين في تل ابيب يوم ١٩٧٩/٣/٢٤، بالحديث الى الجمهور الاسرائيلي محرضا اياه على العرب قائلا : « من كان منكم مستعدا لتحمل اعمال الشغب في حلحول ورام الله ، سيضطر غدا لتحمل تصرفات مشابهة في الناصرة وعكا [المحتلتين منذ عام ١٩٤٨] » (المصدر نفسه) · وقد يدل هذا على ان سلطات الاحتلال تقف خلف اشراك المستوطنين المدنيين في عملية « حفظ الامن الذاتي » التي اتخذوا قرارا بشأنها ، والاعتداء على المتظاهرين واطلاق الرصاص عليهم في حلحول ورام الله والبيرة والخليل · ويأتي هذا التحذير بعد ان كان قد تقرر في « المشاورات » التي جرت على مستوى حكومي عال ، يوم الجمعة ١٩٧٩/٣/١٦ « اقرار سياسة الحكم العسكري الحالية » ، الذي يتصرف الان بمنتهى الشدة مع المخلين بالنظام ، والمتظاهرين في الضفة الغربية، بما في ذلك فرض حظر التجول لمدة طويلة في المدن والقرى التي يجري فيها اخلال بالنظام بشكل استثنائي ··· كما هو حاصل في حلحول وسعير وبيت عور التحتا » (هآرتس ، ١٩٧٩/٣/٢٠) ·

يوم حداد وطني في الضفة الغربية وقطاع غزة

و « يوم اسود » ، هذا هو عنوان جريدة الشعب الصادرة في القدس الشرقية يوم ١٩٧٩/٣/٢٦ ، فاليوم توقع مصر واسرائيل على معاهدة منفردة ، وهو يوم اسود للامة العربية » ، (الفجر ور١٠١٠ ، ١٩٧٩/٣/٢٦) · واليوم « تشهد الضفة الغربية وقطاع غزة اضرابا عاما على توقيع المعاهدة السلمية ، وذلك بناء على نداء من رؤساء البلديات والمنظمات المختلفة كان قد وجه الى اهالي المناطق [المحتلة] » ، (ر١٠١٠ ، ١٩٧٩/٣/٢٦)· باعتباره « يوم حداد وطني » ، (السفير ، ١٩٧٩/٣/٢٥) بيت لحم ورام الله « عالمان مختلفان ··· ولكن ما حصل فيهما بالامس عبر عن كل ما هو مشترك بين العرب ، المسيحيين والمسلمين ، الاغنياء والفقراء ، الشباب والكهول » (المصدر نفسه) · وما كان قد اقره رؤساء البلديات « نفذ · فللمرة الاولى منذ ثلاث سنوات تشل الحياة اليومية في مدن الضفة الغربية تماما · حوانيت مقفلة ، ومدارس مغلقة ، ومكاتب مقفرة »، وما كان « الاضراب قد انتقصه اكثر من المطر الغزير الذي راح ينهمر منذ ليل امس الاول ، وراح يضرب شبابيك مغلقة وارصفة مقفرة ولا غير بائعي الصحف المحشوة مقالات واخبار ضد معاهدة السلام المنفردة بين مصر واسرائيل ، كانوا يقفزون من مظلة الى مظلة ويبيعون صحف « الشعب » و « القدس » و « الفجر » (معاريف ، ١٩٧٩/٣/٢٧) · وبين رؤساء البلديات كان يسود « انسجام في الرأي » ، وما كان « على لسان الياس فريج من بيت لحم كان على لسان كريم خلف من رام الله : ضد المعاهدة المنفردة بين اسرائيل ومصر ، وضد مشروع الحكم الذاتي ، وضد الاستيطان اليهودي في الضفة ، ومع الانسحاب الشامل والنهائي » (المصدر نفسه) ·

توفيق فياض